

أنا وأنت على الطريق
فيديو عن جلد امرأة سودانية

صديقتي المستمعة،

هل شاهدت يا سيدتي الفيديو عن جلد امرأة سودانية متهمه بالدعارة الذي ظهر على الانترنت وأحدث ضجة عالمية ضخمة؟ تعالي معي نقرأ الخبر الذي ورد عن ذلك في إحدى الصحف العربية إذ يقول تحت عنوان: القضاء السوداني يحقق بفيديو جلد متهمه بالدعارة ، بأن السلطة القضائية السودانية شرعت في التحقيق حول ملابس الفيديو الذي أثار ضجة دولية ، بعد أن ظهرت فيه امرأة مجهولة الهوية وهي تتعرض للجلد العنيف أمام الناس من قبل أشخاص يرتدون ملابس عناصر الشرطة. مشددة على وجود ضوابط للعقوبة سيتم النظر في إمكانية حصول مخالفة لها. وسيحقق القضاء في الكيفية التي تم بها تنفيذ العقوبة على الفتاة فور ظهورها على الانترنت بعد أن تمت إدانتها بموجب المادتين ١٥٤ و ١٥٥ من القانون الجنائي.

وتنص مواد القانون الجنائي إلى إيقاع عقوبة الجلد بما لا يتجاوز مئة جلدة ، أو بالسجن مدة لا تزيد عن ثلاث سنوات لكل من يرتكب جريمة ممارسة الدعارة أو يتواجد في محل للدعارة أو يكتسب من ممارستها. وتصل مدة شريط الفيديو إلى دقيقتين وتظهر فيه امرأة ترتدي عباءة تقليدية سوداء وسط حشد من الرجال بينهم عناصر الشرطة. وفي بداية الشريط يسمع صوت المرأة وهي تبكي وتستغيث بأمرها قبل أن يبدأ الشرطي بجلدها بقوة بسوط يشبه ما يستخدم مع الحيوانات وبشكل عشوائي بحيث توزع الضربات على القدمين والظهر والوجه. ويطلب الشرطي من المرأة الامتثال إلى الأوامر. كما يطلب أحد الحضور وجوب أن يتمكن جميع المتواجدين في المكان من رؤية عملية الجلد حتى يشهد المؤمنون عذاب الزناة.

وتطبق مناطق شمال السودان الأحكام بحسب الشريعة الإسلامية . وقد سبق أن ثار جدل دولي حول عقوبة جلد مماثلة فرضتها الخرطوم على الصحفية لبنى الحسين الموظفة لدى الأمم المتحدة بسبب ارتدائها سروالاً في مكان عام. واضطرت عندها السلطات السودانية للتراجع تحت ضغط الجمعيات الحقوقية خاصة بعد أن قامت الصحفية بالتصعيد مبدية رغبتها في أن يتم توقيع عقوبة الجلد عليها. وأرسلت آلاف الدعوات إلى نشطاء دوليين وسودانيين لحضور محاكمتها. إلى هنا ينتهي التقرير.. فما رأيك سيدتي ؟

من خلال ما شاركتك به في التقرير، إذن لا زالت المرأة تتعرض للجلد أو للسجن ثلاث سنوات إذا ما أمسكت في ذات الفعل. وليس هذا فحسب بل بحسب الشريعة الشائعة يجري تنفيذ هذه العقوبة الصارمة أمام الناس وعلى مرأى من المؤمنين كما يقال. لكن ما يلفت النظر أيضا سيدتي بأن الرجل الذي ارتكب فعل الزنا مع هذه المرأة لم يكن معها يجلد مثلها أو يطبق فيه العقاب بالضرب كما فعلت الشرطة معها هي. فأين العدل في هذه الحال؟ ما أبعد حكم الإنسان الجائر عن الرحمة والحق يا سيدتي أليس كذلك؟ ليس هذا فحسب بل ما أبعده عن تطبيق العدل في المجتمع، وهذا يعكس لنا طبيعة الإنسان التي هي تواقفة لكي تحكم على الآخرين وتدين الناس. هذا بالإضافة إلى أنه يعكس صورة التقليد السائد في مجتمعاتنا الذكورية، والنظرة الدونية للمرأة التي هي نصف المجتمع ومربية الأجيال.

تذكرني هذه الحادثة حادثة جلد المرأة الزانية بواقعة أخرى حصلت في أيام الرب يسوع المسيح وهو على أرضنا هذه. إذ أحضر إليه الكتبة والفريسيون أي زعماء الدين اليهود امرأة أمسكت في زنا. نعم أحضروا إليه المرأة أيضاً وليس الرجل مع أن الشريعة توصي برجم الاثنين معا. أي لقد سبق السودانيين في هذا التصرف رؤساء الدين اليهود منذ آلاف السنين. وقالوا للمسيح: يا معلم هذه المرأة أمسكت وهي تزني في ذات الفعل. وموسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه ترحم. فماذا تقول أنت؟ ولما استمروا يسألونه انتصب من على الأرض وقال لهم: من منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر. ثم انحنى أيضا إلى أسفل وكان يكتب على الأرض. وأما هم فلما سمعوا وكانت ضمائرهم تبكتهم خرجوا واحدا فواحدا. مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين. وبقي يسوع وحده والمرأة واقفة في الوسط. فلما انتصب يسوع ولم ينظر أحدا سوى المرأة قال لها: يا امرأة أين هم أولئك المشتكون عليك؟ أما دانك أحد؟ فقالت لا أحد يا سيد. فقال لها يسوع ولا أنا أدينك. اذهبي ولا تخطئي أيضا. (يوحنا ٨)

أجل، هذه هي كلمات الرحمة والحق التي نطق بها الرب يسوع المسيح للمرأة الزانية: قال لها: ولا أنا أدينك أي رحمها ولم يحكم عليها. ثم أوصاها بأن لا تخطئي مرة ثانية. لأن الزنى هو خطية ضد الله أولاً وضد الشخص الآخر ثانيا، وضد أجسادنا ثالثا. يقول الرب يسوع المسيح في الإنجيل: **لأنني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم.** وفي مكان آخر يقول الروح القدس: **لأن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين به العالم بل ليخلص به العالم.** لكن هذا لا يعني أن يسوع المسيح قد ساوم على الحق بل أوصاها بأن تمارس الحق في ابتعادها عن الشر والخطية. أي أن تبدأ صفحة جديدة في حياتها بعيدة عن النجاسة تعكس فيها القداسة. فهل نتبع خطى السيد ونتعلم منه الرحمة والحق؟